# المجاز بلاغة لغوية تؤثر في النفوس وتدغدغ مشاعر الجماهير

## «المجاز السياسي» كتاب يكشف الأدوات البلاغية للخطاب والفكر السياسي المعاصر

لا يستطيع الفاعل السياسي، فردا كان أم حزبا أم دولة، التعبير عن أفكاره وبرنامجه من دون خطاب فعّال يؤثر في المتلقي فكريا وعاطفيا. وليس الخطاب السياسي مجرد كلمات أو تراكيب لغوية، إنما هو ثقافة كاملة ورؤية استراتيجية ومشروع أخلاقي ووعي لغوي تعكس كلها التكوين القيمي لصانعه وخلفيته الثقافية والمعرفية، ويؤدي هذا الخطاب أدورا سياسية واتصالية ومعنوية في المجتمع من خلال أساليبه المختلفة، ولعل أهمها وأكثرها تأثيرا المجاز، الذي ليس حكرا على الأدب.

أشرف راضي

أنا لا أقول لكم الحقيقة

القاهرة - "إدارة التوحش"، "أرض الميعاد"، "الاغتيال المعنوي"، "الباب المفتوح" و"البطة العرجاء".. نماذج من أهم المجازات السياسية المتداولة التي أوردها الكاتب والباحث المصري عمار علي حسن في ملحق بعد خاتمة كتابه الجديد "المجاز السياسي".

الكتاب ثري بالأمثلة والنماذج والمصادر التي رجع إليها الكاتب باللغتين العربية والإنجليزية، وفيه يستكمل مهمة بدأها في كتاب سابق له بعنوان "الخيال السياسي" صادر عام 2017.

### اللغة للتعبير والتفكير

على غرار "الخيال السياسي" صدر الكتاب الجديد لعلي حسن "المجاز السياسي" ضمن سلسلة عالم المعرفة الثقافية الشهرية التي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، وفي كلا المؤلفين يتطرق الكاتب إلى مجالات غير مألوفة في الأدبيات السياسية العربية.

ففي كتابه الأول، يتحدى تعريفا شائعا للسياسة بأنها "فن الممكن" ليجعل منها أيضا مادة للخيال، ويشاكس في الكتاب الثاني من يعتقدون أن السياسة تدور حول "حقائق" ليكشف وجها آخر يجعلها تحل بقوة هائلة في "المجاز".

والهدف من الكتابين كما يشير مؤلفهما هو مساعدة ممارسي السياسة على فتح أذهانهم على "احتمالات وخيارات متعددة، تترتب عليها تصرفات مرنة في دنيا الناس".

يطرح المؤلف في كتابه الثاني قضية شائكة في الدراسات الاجتماعية بشكل عام وفي علم السياسة على وجه الخصوص، وهي قضية "الحقيقة" التي تصبح أحيانا مناطا للتلاعب، مما يعطي للمجاز حظا أكبر بكثير من الحقائق، خصوصا عندما يكون هناك تنازع حول الحقيقة التي "لا تخلو من إقامة للمجاز أو حلول مغرض له"، حيث تكون للبلاغة قدرة أكبر على التأثير في النفوس ودغدغة مشاعر الجماهير والتلاعب بها واستمالتها.

لكنه ينبه إلى أن "الاهتمام بالمجاز يجب ألا يقلل في وعينا عن الانشغال بالحقيقة"، فالمجاز لا يستخدم دائما لإخفاء الحقيقة وإنما يستخدم أحيانا لإجلائها على نحو ما يشير الفيلسوف الألماني مارتن هايدجر، كما أوضح مؤلف الكتاب في أكثر من موضع.

ويسعى حسن من خلال دراسته، التي يصنفها على أنها دراسة في مجال الاجتماع السياسي، للبرهنة على حضور المجاز في الحياة السياسية بقدر حضوره في المجتمع الذي تُشكل اللغة واسطة التفكير فيه والتعبير عنه.

كما يسعى لإعادة الاهتمام بالمجاز الذي كان محوريا في الفكر العربي القديم، مستفيدا من نمو الاهتمام به في الفكر الغربي، حيث أصبح "مدخلا لتفسير الظواهر الاجتماعية والسياسية" وذا دور محوري في الحياة اليومية. ويشير إلى أن الصور المجازية تظهر في الاستعمالات العادية للغة كما نراها في عناوين الصحف وأن المجاز "منساب في تفاصيل حياتنا بشكل ظاهر للعيان".

وحرص المؤلف على أن يكون أكثر وضوحا في تحديد مجال دراسته ومنهجيتها والهدف منها.

ويقول "لم أقصد بدراسة المجاز السياسي أن ألقي السياسة في مجاهل الابتعاد التام عن ملامسة الحقيقة، لاسيما أننا الآن في حاجة ماسة إلى تقريب السياسة، فكرا وممارسة، من الحقائق".

ويمكن القول إن الكتاب محاولة لكشف المجاز في الخطاب والفكر السياسيين المعاصرين.

وتكشف فصول الكتاب الستة عن منهجية صارمة اعتمد المؤلف من خلالها على إسهامات اللغويين وتقسيماتهم كنقطة انطلاق للتطبيق في المجال السياسي الأوسع.

### الاستعارة والصمت

مهّد حسن لتعريف المجاز السياسي بفصل عن السياسة والكلام، ليتبعه بفصل ثالث عن الاستعارة ورابع عن المبالغة، ويخصص الفصلين الخامس والسادس لتناول الصورة وتحليل الصمت.

في دراسته التي استفاض فيها للاستعارة، يشير الكاتب إلى تزايد استعمال الاستعارة، خلافا للتصور الذي يعتقد أن الخطاب السياسي تخلص من الرطانة ويعتقد ميل هذا الخطاب إلى استعمال لغة وظيفية مباشرة لا تحتمل تأويلات عديدة.

ويعزو الكاتب ذلك التوظيف للاستعارة إلى تراجع الخلافات الجوهرية بين الأحزاب السياسية في الغرب بعد انتهاء الاستقطاب الأيديولوجي وصعود الطريق الثالث الذي مزج بين خطابي الحرية والعدالة، ويكشف عن وظيفة أخرى ممكنة للاستعارة بوصفها وسيلة معرفية مركزية لا غنى عنها لفهم العالم وفهم أنفسنا وإعطاء معنى لما يدور حولنا وبداخلنا، وإبداع معان وحقائق جديدة نظرا لارتباط الاستعارة بالأنساق الفكرية.

ويؤكد المؤلف أهمية المجاز في مجال السياسة وضرورة الاهتمام بدراسته نظرا إلى حضور الاستعارة والمبالغة والصور الجمالية والذهنية والفكرية، وكذلك الفراغات التي يصنعها الصمت بإيماءته وإيحاءاته في الخطاب السياسي المتداول وفي الأفكار والنظريات التي تركها مفكرون وفلاسفة، رغم فقر المجاز في الخطاب السياسي العربي، سواء في خطابات الساسة المحترفين أو في ما يكتبه الصحافيون والباحثون والكتاب في قضايا السياسة وشؤونها.

ويشير المؤلف إلى أهمية وخطورة "المجاز السياسي" سواء وظّفته السياسة في لعبة الإلهاء والإغواء والإغراء، أو استخدمته في التمرير والتنوير. وهو يرى أن المجاز لا يقتصر دوره على التبرير والتضليل، وإنما يلعب دورا مهما في التحليل وتقريب الواقع للأذهان.

يفتح الكتاب آفاقا جديدة في تحليل الخطاب السياسي، إذ ينقلنا من تقنيات تحليل المضمون والخطاب التي تبحث عن تكرار مفردات معينة إلى جوانب أكثر عمقا وشمولا في تحليل لغة السياسة، كما يعبر عنها الخطاب السياسي المتداول أو كما وردت في معظم الأدبيات السياسية.

كما أنه يمثل إضافة في التحليل السياسي بشكل عام بالتركيز كذلك على مكونات مثل الصورة وتحليل الصمت.

عمار علي حسن

**المجاز في مجال السياسة نجد فيه الاستعارة والمبالغة والصور الجمالية والذهنية والفكرية**

# نقاد سوريون يحتفون بمحمد الماغوط شاعر المدينة والمفارقات

دمشق - يحفل النتاج الشعري عند الأديب السوري محمد الماغوط بنمط مغرق في حداثته، حتى عد من رواد قصيدة النثر عربيا، ما دفع مواطنه الناقد جمال أبوسمرة إلى تخصيص ندوة للحديث عن الحداثة في شعر هذا الأديب والتقنيات التي استخدمها.

وبين أبوسمرة في الندوة التي استضافها اتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين أن الماغوط كان الأب الروحي لقصيدة النثر، كما تجلى في قصائده اهتمامه بالهم الاجتماعي، ولكن ليس على حساب جودة القصيدة، فكان يلجّ ويشير ويطوع لنصه مكونات الحداثة والبنية الدرامية مثل الصراع والمونولوج والديالوج، أي الحوار الداخلي والخارجي والمفارقة الشعرية، ولكن بشكل منظم مركز بقلم شاعر محترف.

وُلد الماغوط في مدينة السلمية شرق محافظة حماة عام 1934، مدينة قال عنها الشاعر في قصيدة مميزة "سلمية: الدمعة التي ذرفها الرومان/ على أول أسير فك قيوده بأسنانه/ ومات حنينا إليها./ سلمية... الطفلة التي تعثرت بطرف أوروبا/ وهي تلهو بأقراطها الفاطمية/ وشعرها الذهبي/ وظلت جاثية وباكية منذ ذلك الحين".

في تلك المدينة التي يسترجعها الماغوط لاحقا درس الشاعر طفلا، ولكن الفقر أجبره على ترك مدرسته في سنّ مبكرة، لكنه لم يسقط الموهبة الأدبية، ولم يقف الفقر عائقا أمام حبّه للأدب قراءة وكتابة، لتتطور تجربته مع الأدب السياسي الساخر، والقصائد المتحررة من الوزن والقافية، والتي وضعته ضمن رواد ما أصبح يسمى لاحقا "قصيدة النثر"، كما ألف عددا من المسرحيات والأعمال الدرامية، لكن دوره كشاعر ظل مهيمنا على تجربته.

وسجن الشاعر بسبب انتمائه السياسي، وكانت تجربة السجن مؤثرة في ما يكتبه، بعد خروجه من السجن فر إلى لبنان مشيا على الأقدام، وهناك التحق بجماعة أدبية أسمها مجلة شعر بمساعدة أدونيس.

في بيروت نشأت بين محمد الماغوط والشاعر العراقي الشهير بدر شاكر السياب علاقة صداقة حميمة، وتعرّف في بيروت أيضا إلى عدد من الأدباء وأهمهم الشاعرة سنية صالح زوجته المستقبلية، وشقيقة خالدة سعيد زوجة أدونيس، وقد عاد الماغوط إلى دمشق وهو نجم كبير له أسلوبه الشعري الخاص.

وتوقف أبوسمرة عند تميز الماغوط في مفارقة السخرية والإشارة إلى أمر سلبي بنقد مبطن ساخر يوحي خارجه بشيء وداخله بآخر.

وقدم الناقد نموذجا قصيدة للماغوط يرثي فيها الشاعر بدر شاكر السياب بشكل مختلف عما درج في قصائد الرثاء، وكأنه ينقلب على القصيدة العمودية شكلا ومضمونا ويخرج على طريقة الأقدمين في البكاء وذكر المناقب إلى أسلوب هزلي غير دارج في الرثاء وأقرب إلى المضحك المبكي.

وأوضح أبوسمرة أن من عناصر القصيدة الحديثة ليس الوزن والقافية بل الإدهاش الشعري وخلق الصورة الجمالية الجديدة والتكثيف والانزياح اللغوي والتخييل والإيقاع الداخلي والنفسي والمناخ العاطفي الانفعالي والتوترات النفسية والدفقات الشعرية القصيرة التي تتجلى في ما يسمى التوقيعة الشعرية، فضلا عن عناصر الامتاع والإثارة والتصوير كما أكد على الوحدة المعنوية والترابط في القصيدة الطويلة.

ويؤكد حديث الناقد ما قاله في وقت سابق الشاعر اللبناني عباس بيضون، عن علاقة قصيدة النثر بالشعر وهل للنثر أن يكون شعرا، حيث قال بيضون "لنبدأ بالبسيط بل الأبسط، بالسؤال الذي بدأ نكاية وغدت العودة إليه نكوصا إلى طفولة النقاش. سؤال هل قصيدة النثر شعر وهل للنثر أن يكون شعرا. إنه كما ترون سؤال لعوب وضرورة منطقية، لم يكن خطرا لأن واضعيه كانوا يفترضون أنهم يعرفون ما هو الشعر وما هو النثر. وعليه فإن الشعر ليس نثرا والنثر ليس شعرا. لم يدر في بالهم أن يبدأوا بسؤال أول ما هو الشعر".

> **الشاعر كان الأب الروحي لقصيدة النثر تجلى في قصائده اهتمامه بالهم الاجتماعي والسياسي دون إغفال جودة القصيدة**

كما تحدّث بيضون عن الشاعر محمد الماغوط فقال "المدينة الانتقالية الموقوفة، على حد تعبير وضاح شرارة، هي التي صنعت المفاجأة المغوطية، كانت للماغوط عينان جديدتان، لأنهما رأتا في هذه اللحظة ما لم يره الشعراء. فتنة الشارع وارتجالات الشارع وقوة الفعل والمادة والمفارقة في الصورة الشارعية. ثم الإيقاع المونولوجي الحواري لحياة التجوال والإغراء المونتاجي الكولاجي والفيلمي للتسكع المديني".

ووصف بيضون الماغوط بالشخصية الصعلوكية التي هي نتاج المجانية المدنية، وفي شعره هناك لغة المفارقة، لغة الاندهاش والاكتشاف والصدمة. فالسحر المدني وإدمان المدن هما المرض المقابل لخيانة أصلية، بل هنا الخيانة والانشقاق الإدمانيان اللذان يؤسسان للتجربة المدينية.

ووجد الناقد أحمد هلال أن الماغوط كان ظاهرة مختلفة في الشعر العربي رغم أن البعض نفى عنه الصفة الشعرية، والحقيقة أنه هز الأنساق المجتمعية بمحاولة التجاوز والتخطي، فاستطاع كسر الأنماط الشعرية وحرر القصيدة من ثوابتها، وكان حرا منفردا متفردا، ولاسيما مع ديوانه البدوي الأحمر الذي ضم الكثير من المفارقات والانزياحات الشعرية.

منجز الماغوط خول له أن يكون بجدارة واحدا من ثلاثة شعراء مهمّين أسسوا لتيار "قصيدة النثر" في الثقافة العربية، أولهم توفيق صايغ الذي نشر ديوانه الأول "ثلاثون قصيدة" بيروت 1954، وثانيهم الماغوط الذي نشر ديوانه "حزن في ضوء القمر" 1959، والثالث أنسي الحاج الذي نشر ديوانه الأول "لن" 1960.

ويذكر أنه قدم على هامش الندوة التي احتفت بالماغوط شاعرا عدد من القاصين والشعراء الشباب نصوصا أدبية وشعرية تم عرضها على طاولة النقد.